

السؤال

من هو القاضي عياض؟ مؤلف كتاب الشفا..

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن محمد اليحصبي أبو الفضل القاضي المحدث الحافظ ، ولد في "سبتة" من بلاد المغرب الأقصى ، وسمع من مشيختها ، وتفقه ببعضهم ، ورحل إلى الأندلس فأخذ بقرطبة عن أبي الحسين بن سراج وأبي عبد الله بن حمدين وأبي القاسم بن النحاس وابن رشد ، وغيرهم ، ورحل منها إلى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة 508 ، فتفقه ودرس وتعلم وناظر حتى فاق أقرانه وذاع صيته .

كانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، من الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها ، وله المصنفات العديدة ، التي انتفع بها الناس .

قال الفقيه أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكول رحمه الله :

" قدم الأندلس طالبا للعلم ، وأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله مج بن علي ، وغيرهم ، وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه ، وأخذ بالمشرق عن القاضي علي حسين بن محمد الصدفر كثيرا ، وعن غيره ، وعني بلقاء الشيوخ ، والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا ، وله عناية كبيرة بهم ، واهتم بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنن في العلم ، والذكاء واليقظة الفهم ، واستقصى ببلده مدة طويلة ، فحمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة ، وأخذنا عنه بعض ما عنده " انتهى .

"الصلة" (ص 146) - "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" (ص 240)

وقال ابن الأبار رحمه الله :

" كان لا يُدرك شأؤه ، ولا يُبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ، إلى اضطراره بالآداب ، وتحقيقه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية . وبالجملة : فكان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا عدت رجالات المغرب - فضلا عن الأندلس - حسب فيهم صدرا ، وله تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفة لها .

وولي قضاء بلده مدة طويلة ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة فلم يطل مقامه بها ، وأعيد إلى سبتة ثانية ، ومنها أشخص إلى مراكش

وفيهما توفي مغرباً عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة 544 ، ودفن بباب إيلان داخل المدينة ومولده منتصف شعبان سنة 476 "انتهى.

"المعجم في أصحاب القاضي الصدي" (ص 295-296)

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمته من "السير" (39/205-206) :

"الإمام العلامة الحافظ الأوحّد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي .

وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَع مِائَةٍ .

تَحَوَّلَ جَدُّهُم مِّنَ الأَنْدَلُسِ إِلَى فَاسٍ ، ثُمَّ سَكَنَ سَبْتَةَ .

لَمْ يَحْمَلِ القَاضِي العِلْمُ فِي الحِدَاثَةِ ، وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَخَذَ عَنِ الحَافِظِ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيَّ إِجَازَةَ مُجَرَّدَةٍ ، رَحَلَ إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَةَ بَضْعَ

وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَرَوَى عَنِ القَاضِي أَبِي عَلِيٍّ بْنِ سَكْرَةَ الصَّدْفِيِّ وَلاَزَمَهُ ، وَعَنِ أَبِي بَحرِ بْنِ العَاصِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَمْدِ بْنِ وَأَبِي

الحُسَيْنِ سِرَاجِ الصَّغِيرِ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَنَابٍ ، وَهَشَامِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَعِدَّةٍ .

وَتَفَقَّهَ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى التَّمِيمِيِّ ، وَالقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ المَسِيلِيِّ .

وَاسْتَبَحَرَ مِنَ العُلُومِ ، وَجَمَعَ ، وَأَلَّفَ ، وَسَارَتْ بِتَصَانِيفِهِ الرُّكْبَانُ ، وَاسْتُتْهِرَ اسْمُهُ فِي الأَفَاقِ .

وَقَالَ الفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادِ السَّبْتِيِّ : جَلَسَ القَاضِي لِلْمُنَاطَرَةِ وَلَهُ نَحْوُ مِئَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَوَلِيَ القَضَاءَ وَلَهُ خَمْسُ

وَتَلَاثُونَ سَنَةً ، كَانَ هَيَبًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، صَلِيْبًا فِي الحَقِّ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِسَبْتَةَ فِي عَصْرِ أَكْثَرَ تَوَالِيْفَ مِنْ تَوَالِيْفِهِ ، لَهُ كِتَابُ (

الشِّفَا فِي شَرَفِ المُصْطَفَى) مُجَلَّدٌ ، وَكِتَابُ (تَرْتِيبِ المَدَارِكِ وَتَقْرِيبِ المَسَالِكِ فِي ذِكْرِ فُقَهَاءِ مَذْهَبِ مَالِكِ) فِي مُجَلَّدَاتٍ ،

وَكِتَابُ (العَقِيدَةِ) ، وَكِتَابُ (شَرْحِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعِ) ، وَكِتَابُ (جَامِعِ التَّارِيخِ) الَّذِي أَرَبَى عَلَى جَمِيعِ المُؤَلَّفَاتِ ، جَمَعَ فِيهِ

أَخْبَارَ مُلُوكِ الأَنْدَلُسِ وَالمَغْرِبِ ، وَاسْتَوْعَبَ فِيهِ أَخْبَارَ سَبْتَةَ وَعُلَمَاءِهَا ، وَلَهُ كِتَابُ (مَشَارِقِ الأَنْوَارِ فِي اِقْتِفَاءِ صَحِيحِ الأَثَارِ)

إِلَى أَنْ قَالَ :

وَحَازَ مِنَ الرِّبَاسَةِ فِي بِلَدِهِ وَالرَّفْعَةِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَطُّ مِنْ أَهْلِ بِلَدِهِ ، وَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضَعًا وَخَشْيَةً لِلَّهِ تَعَالَى ، وَلَهُ مِنْ

المُؤَلَّفَاتِ الصَّغَارِ أَشْيَاءٌ لَمْ نَذْكُرْهَا .

قَالَ القَاضِي شَمْسُ الدِّينِ فِي (وَفِيَّاتِ الأَعْيَانِ) : هُوَ إِمَامُ الحَدِيثِ فِي وَقْتِهِ ، وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِعُلُومِهِ ، وَبِاللُّغَةِ ، وَكَلَامِ

العَرَبِ ، وَأَيَّامِهِمْ ، وَأَنْسَابِهِمْ ، وَكُلُّ تَوَالِيْفِهِ بَدِيعَةٌ ، وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ .

قُلْتُ - أَيُّ الذَّهَبِيِّ - : تَوَالِيْفُهُ نَفِيسَةٌ ، وَأَجْلَهَا وَأَشْرَفَهَا كِتَابُ (الشِّفَا) لَوْلَا مَا قَدْ حَشَاهُ بِالأَحَادِيثِ المَفْتَعَلَةِ ، عَمَلٌ إِمَامٍ لَا نَقْدَ

لَهُ فِي فَنِّ الحَدِيثِ وَلَا ذَوْقَ ، وَاللَّهُ يُثَبِّتُهُ عَلَى حَسَنِ قَصْدِهِ ، وَيَنْفَعُ بِهِ (شِفَائِهِ) وَقَدْ فَعَلَ ، وَكَذَا فِيهِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ البَعِيدَةِ أَلْوَانٌ

، وَبَيْنَا - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - غِنًى بِمَدْحَةِ التَّنْزِيلِ عَنِ الأَحَادِيثِ ، وَبِمَا تَوَاتَرَ مِنَ الأَخْبَارِ عَنِ الآحَادِ ، وَبِالآحَادِ

النَّظِيفَةِ الأَسَانِيدِ عَنِ الوَاهِيَّاتِ ، فَلِمَاذَا يَا قَوْمَ نَتَشَبِعُ بِالمَوْضُوعَاتِ ؟ فَيَتَطَرَّقُ إِلَيْنَا مَقَالُ ذَوِي الغُلِّ وَالحَسَدِ ، وَلَكِنْ مَنْ لَا يَعْلَمُ

مَعذُورٌ .

وَقَدْ حَدَّثَ عَنِ القَاضِي خَلْقٌ مِنَ العُلَمَاءِ ، مِنْهُمْ : الإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ الأَشِيرِيِّ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ القَصِيرِ الغَرْنَاطِيِّ ،

وَالْحَافِظُ خَلْفَ بْنِ بَشْكُوَالِ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَجْرِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَابِرِيِّ ، وَوَلَدُهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عِيَّاضِ الْقَاضِي دَانِيَّةَ " انتهى .

وينظر للاستزادة : "تذكرة الحفاظ" (4 / 68) - "تاريخ قضاة الاندلس" (ص 101) - "طبقات النسابين" (ص 20) - "وفيات الأعيان" (3 / 483) .